ولاة المدينة في العصر الأموي

«دراسة سياسية»

إعداد : د. سليمان الرحيلي

• خلاصة البحث •

كانت المدينة حتى نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان «رضي الله عنه» عاصمة الدولة الإسلامية ، ومقر دواوينها ومنطلق جيوشها الفاتحة دون منازع ، وعلى الرغم من أن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب اتخذ الكوفة عاصمة للخلافة ، ثم جاء الأمويون واتخذوا مدينة دمشق عاصمة لهم إلا أن المدينة لم تفقد مكانتها في الدولة وظلت لها أهمية خاصة تعود إلى مركزها الديني والسياسي وأثرهما في توجيه القرار في الدولة ، وقد راعى الخلفاء الأمويون ذلك بعناية ودراية وحنكة لم تخل منها سياستهم إزاء المدينة خاصة وأقليم الحجاز عامة فقد حرصوا على ولاء أهل المدينة لهم بالسلم ما أمكن وبالشدة عندما يتعذر الأول ،

فقد أدركوا منذ وقت مبكر خطورة موالاة أهلها أو مخالفتهم وأثر كل منها في أقاليم الدولة الأخرى، ذلك أن عمل أهلها حتى ذلك الوقت أجيز الأخذ والاقتداء به، كما يعيش فيها بعض كبار الصحابة وأبنائهم والتابعين حيث كان لمواقفهم وآرائهم من قضايا عصرهم ومشكلاته أثر كبير بين الناس. ويدرس هذا البحث هذه القضايا وغيرها من المواقف المتبادلة بين أهل المدينة والدولة الأموية، ويركز بشكل خاص على سياسة ولاتها واهتمام الدولة واختيارها لهم بعناية. والمعايير التي كانت تراعيها فيهم ومناسبتهم لهذه الولاية ذات المركز المهم.

أهمية ولاية المدينة:

يقول الخليفة معاوية بن أبي سفيان موصياً ابنه يزيد: «انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب»(١).

ومن مظاهر هذا الاهتمام وخطورة هذه الولاية أن الأمويين عينوا عليها رجالا من البيت الأموي نفسه طيلة الربع الأول من مدة حكمهم مثل مروان ابن الحكم وسعيد بن العاص بن سعيد والوليد بن عتبة بن أبي سفيان لأهمية استتباب أمرهم فيها وعدم خلافها وثورتها عليهم واستعادة مركزها الخلافي خاصة في مرحلة تأسيس دولتهم والتمكين لها. بل اتبعوا هذه السياسة على العموم طيلة عهدهم، ليظهروا إمرة البيت الأموي على سائر بيوت قريش الأخرى في الحجاز ولهذا قصروا أيضا وظائف أخرى مهمة على بيتهم دون غيره مثل إمرة الحج في أغلب عهدهم، وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح في عهد معاوية أكثر من غيره(٢) وقد راعى العباسيون هذه السياسة فيما بعد وخاصة في عهد هارون الرشيد. ولم يخرج الأمويون عن هذه السياسة في الغالب إلا مرتين: أحدهما في فترة اضطراب الحكم الأموي بعد وفاة يزيد بن

معاوية حيث تولى المدينة اثنان من بني الزبير هما عبيد الله بن الزبير سنة ٦٤هـ ومصعب بن الزبير فضلا عن آخرين كانوا ولاة عليها لابن الزبير في مكة(٣). وعلى الرغم من أن تبعية المدينة لابن الزبير كانت قصيرة الا أنها دعمت تطلعه إلى الخلافة والاستعداد للمحاربة في سبيل ذلك خاصة عندما أصبحت المدينتان المقدستان تابعتين له.

أما الأخرى فتعود إلى أواخر عهد الدولة الأموية حيث تعاقب على ولاية المدينة عدد من الولاة من خارج البيت الأموي ممن عرفوا بولائهم له، والملاحظ أن ولاية المدينة خلال هذه الفترة تأثرت بأوضاع الدولة نفسها حيث تعاقب عليها سراعا عدد من الولاة حتى أن السبع سنوات الأخيرة من عمر الدولة لا تكاد تخلو سنة منها من أمير جديد عليها.

ولعل أوضح مثال على اهتمام الأمويين بالمدينة والتدقيق في إختيار الأكفاء لإمارتها أن بعض ولاتها أصبحوا إما خلفاء للدولة نفسها مثل مروان بن الحكم وعمر بن عبد العزيز أو أمراء لأقاليم مهمة في الدولة مثل الحجاج ابن يوسف وكذلك زارها أكثر الخلفاء الأمويين في طريقهم للحج أو العودة منه، وكانوا يظهرون أثناء ذلك الرعاية والاهتمام بشؤونها. ومن وضوح مركزها وقتذاك أيضا أنه تخرج في مدرستها العلمية أشهر الخلفاء الأمويين مثل معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز. وفي الوقت ذاته ظهرت فيها بدايات أكبر ثورتين ضد الحكم الأموي وهما ثورة الحسين بن علي وحركة عبد الله بن الزبير ولو أن إعلانهما وخروجهما لقتال الجيوش الأموية تم في العراق ومكة على الترتيب. كما جمع لولاتها أيضا إمارة مكة فقد جمعتا لمروان بن الحكم والوليد بن عتبة في بداية عهد الدولة(٤). وجمعتا في وسطها للحجاج بن يوسف وابان بن عثمان وجمعتا في آخرها لعبدالواحد بن عبد الله النضري وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ولهذا لا يعول على ما ذكره أحد الباحثين من أنهما لم تجمعا لأحد في هذا العهد(٥).

ويعود الجمع إلى ثقة الخلفاء الأمويين في والي المدينة الذي حرصوا على اختياره بعناية وضمنوا ولاءه، وبالتالي لا خوف من توسيع ولايته وضم مدن مهمة أخرى لها مثل مكة والطائف. وكذلك يعود إلى تشابه مركز المدينتين وتشابه أحوالهما ووقوعهما في إقليم واحد فضلا عن ضمان الولاء للأمير المعين وهذا قد لا يتأتى عند تعدد الولاة. ومن أهم أوجه التشابه وظيفة المدينتين حيث يؤدي الحج إلى مكة ويتقدم الناس فيه والي المدينة ومكة نائبا عن الخليفة، ثم يخرج الناس بعد اكتمال أعمال حجهم إلى المدينة لزيارة المسجد النبوي وقبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد جاء الحجاج إلى المدينتين من كل حدب وصوب مما يجعل الدولة تحرص أن تكون سياستها ماثلة فيهما وواقعا مشاهدا من تفيؤ الأمن وحسن العمارة وسعة الرزق، وهي سياسة مازالت تتبعها الدولة إزاءهما حتى العصر الحديث.

تميزت الفترة الأولى من حكم الدولة الأموية ٤١ - ٦٠ هـ بتثبيت دعائم الحكم والاستقرار فلم يتولَّ المدينة خلالها سوى واليين هما مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، كما لم تحدث فيها ثورات أو معارضة ضد الأمويين ويعود هذا بدون شك إلى كفاءة خليفة الدولة معاوية بن أبي سفيان وعقد البيعة له وحسن سياسته وتدبيره وكذلك إلى كفاءة والييها المذكوريْن، والأول هو أحد كبار رجال البيت الأموي وله خبرة طويلة بشؤون الحكم والإدارة تعود إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما كانت المدينة عاصمة للدولة. وكان معاوية يناوب بينهما في الولاية فتارة يولي مروان وأخرى يعزله ويولي سعيد بن العاص(٦). وقد يعود هذا إلى حرص معاوية على عدم تفرد الأول بها وتدريب الثاني على ولاية مثلها ثم لإرضاء طموح الاثنين. وكان من سياسة الأخير فيها أنه استنهض أهل المدينة في الاشتراك في الجهاد ضد الروم ولذا نجد منهم من يشترك في الحملات التي وجهت إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وقتئذ مثل الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي توفي هناك أثناء الحصار(٧). وكان مروان يستشير كبار

الصحابة فيما يعضل عليه من أمور المدينة حيث أدرك عدداً من الصحابة والتابعين من أمثال أبي هريرة وأبي أيوب الأنصاري والنعمان بن بشير . الخ رضي الله عنهم(٨) . وكان يستعين بالأكفاء في إمارته مثل عبد الملك بن مروان الذي ولاه الديوان فيها وظل عليه إلى آخر أيام يزيد . وقد استشار فيه معاوية قبل توليته ، وهذا مؤداه أن الولاة كانوا يستشيرون الخلفاء في الوظائف المهمة في الولاية ، ولكن يظهر أن هذا تم في عهود الخلفاء الأقوياء ، أما ما عداهم فإن للولاة قدرا أكبر من حرية إدارة أمور ولاياتهم واختيار معاونيهم . ثم ولّى معاوية بعده على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في سنة ٥٧ هـ ، وكان أحد الولاة الأكفاء حتى أنه رشح للخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد فأبى(٩) وقد عزله معاوية في أواخر عهده وولى عمرو ابن سعيد الأشدق . ويعزو ابن كثير سبب عزله إلى عجزه عن حمل الحسين وابن الزبير على مبايعة يزيد ومناهضة موقفهما منه(١٠) وهما الرجلان اللذان كان يخشاهما معاوية على ابنه يزيد لفضلهما وعلو شأنهما ومحتد نسبهما ومكانتهما عند الناس وإن لم يكونا على اتفاق فيما بينهما منه كما تشير بعض النصوص(١١) ، لا سيما أن أهل المدينة ـ مهاجرين وأنصارا ـ قد تعودوا على عهود القدوة وولاية العظماء ، فهم حديثو عهد بولاية الخلفاء الثلاث فيهم وهم ـ أيضا ـ لا يعدلون بمعاوية وعهده ووقته ما لم يكن مثله أو أفضل منه ، فإذا اختل هذا المعيار فهم يحنون إلى تولية أحدهم عليهم كما سيأتي ، كما أن يزيد في منزلة أبناء الصحابة ومثله أو أرفع منه منزلة في المدينة كثير ، حتى أن أهل المدينة لما بلغهم دعوة معاوية لمبايعة ابنه يزيد هتفوا في طرقاتها :

والله لا ينالها يزيد . . . . إن الأمير بعده سعيد(١٢)

أي سعيد بن عثمان بن عفان ، ولم ينكر معاوية قول الناس فيه ولكن بدهائه المعهود استلطفه وولاه خرسان استمالة له وإبعادا عن المدينة وولى على المدينة عمرو بن سعيد الأشدق سنة ٦٠ هـ(١٣) وهو أحد رجالات

البيت الأموي . وقد كان من مهام الوالي في نظر معاوية مصالحة من يظهرون خلافاً عليه أو معارضته ، ومن ثم محاولة الإحسان إليهم وتألفهم امتدادا لسياسته وموقفه منهم عند مقابلته لهم في دمشق أو عند مجيئه إليهم في المدينة . لهذا حاول عمرو بن سعيد ثني الحسين عن خروجه إلى العراق وطمأنه بالأمان ووعده بالبر والصلة إن هو بقي(١٥) تبعا لسياسة معاوية السابقة وتحقيقا لها وسدا للفتنة المترتبة على خروج الحسين على الخليفة الجديد يزيد . وكذلك كان عمرو بن سعيد على خلاف مع ابن الزبير واستطاع استمالة أخيه عمرو بن الزبير فعينه على شرطته نكاية بأخيه كما دأب على مضايقة آل الزبير ومن هواه معهم ، حتى أنه لما رفض ابن الزبير مبايعة يزيد أرسل الوالي عمرو بن الزبير على رأس جيش لأخذ البيعة منه أو مقاتلته في مكة(١٦) وكانت إمارة مكة قد جمعت له مثلما جمعت لسلفه(١٧) .

وقد أسهمت سياسة هذا الوالي في اتساع شقة الخلاف بين الأمويين وابن الزبير ويبدو أنه لم يستطع تلافي هذا الخلاف واستمالة ابن الزبير أو حسمه لصالح الدولة مما كان سببا في عزله عن المدينة من قبل الخليفة يزيد ، وعندما قابل الوالي خليفته أبلغه أن سياسته إزاء ابن الزبير كانت تقوم على أخذه والتضييق عليه بالتدريج في ظل تمكنه وكثرة أتباعه وميل أهل مكة والمدينة له وقلة جند الوالي(١٨) وأعاد يزيد واليها السابق الوليد بن عتبة سنة ٦١ هـ، ويظهر أن إعادته لإمارة المدينة مرة أخرى في هذا الوقت وأمام قصور الوالي السابق في مواجهة ابن الزبير قصد به حسم الموقف معه ، ويبدو أن ابن الزبير نفسه أدرك هذا الهدف وقدرة الوالي الجديد عليه فعمد إلى بعث كتاب إلى يزيد يبكت فيه بالوالي ويتهمه بالصلف والبعد عن الحكمة ويحثه ايهاما بتولية من هو أرشد منه على المدينة حتى يتم على يديه التقارب بين الجانبين(١٩) . فعزل يزيد الوليد بن عتبة وعين مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وتصفه المصادر التاريخية بأنه فتى غر لم يكن مجربا(٢٠) . ويظهر أن هذا يحقق بعض ما أراد ابن الزبير من حيث الكفاءة والندية أو الغلبة عليه

عندما تشتد الأمور بعد قليل وهو ما يظهر أنه كان متوقعا آنذاك. فقد جاءت سنة ٦٣ هـ التي حلت بعد تعيين الوالي بأشهر محملة بأخطر الأحداث بين الفريقين مثل مقتل الحسين بن علي وثورة ابن الزبير. ويبدو أن الوالي عثمان بن محمد تعجل في إرسال وفد من أهل المدينة من أكابر المهاجرين والأنصار إلى دمشق لمقابلة يزيد قبل أن يستعد لاستقبالهم والتفكير في قبولهم به كخليفة والقضاء على مظاهر ما يغضبهم في بلاطه. وعلى الرغم من أن المصادر لا تشير إلى مواضيع الحوار بينهم ومدى الاتفاق أو الاختلاف حولها فإنها تكتفي بذكر إكرام يزيد لهم وإحسان جوائزهم(٢١)، أما النتيجة الفعلية فنلمسها عند عودة الوفد للمدينة عندما خلعوا يزيد ودعوا الناس إلى ذلك وشبه بعضهم ذلك بخلعه عمامته أو نعله فتبعهم كثير ممن رأى المشهد حتى تجمع كومة في المسجد من العمائم المخلوعة كناية عن الموقف من يزيد. وقد تكون هذه النتيجة هي ما يقصده أحد أعضاء الوفد عندما قال: سرنا شهرا ورجعنا من عند يزيد صفرا(٢٢).

ولكن لا يعني هذا أن كل أهل المدينة تأثروا بأخبار هذا الوفد عن يزيد وخلعه فقد بقيت فيها بيوتات كبيرة على ولائها ليزيد منهم علي بن الحسين ابن علي من آل طالب وعبد الله بن عباس من آل هاشم وعبد الله بن عمر من آل عدي وأتباع لهم من عامة الناس وخاصتهم. وقد كان لهؤلاء منزلتهم بدون شك سواء بين أهل المدينة أم عند يزيد الذي وظف عدم وحدة رأي أهل المدينة بشأنه لصالحه عن طريق السلم والمفاوضة أو الحرب، وعلى الرغم من أن الخليفة سلك طريق السلم في البداية وبعث النعمان بن بشير مفاوضا عنه فإن الفريق الأول وعلى رأسه أعضاء الوفد الذي قابله في السابق بدأ يصعد الحرب ويسلك مسالكها فطردوا الوالي عثمان بن محمد وأمروا آل أمية بالخروج من المدينة(٢٣). وتمثل ولاية عثمان بن محمد نهاية مرحلة من تبعية المدينة للأمويين وبداية أخرى تتبع خلالها عبد الله بن الزبير حيث عين عليها من قبله أخويه عبيد الله ومصعب ويأتي تعيين أخويه على المدينة

إدراكا منه لأهميتها وتثبيت الولاء له فيها، وهو الاهتمام نفسه الذي أبداه الأمويون وحرصوا عليه في بداية قيام دولتهم إزاءها حيث تعاقب عليها ولاة من البيت الأموي نفسه كما مر من قبل.

ولما خلع ابن الزبير طاعة الأمويين وأقام بمكة وأخذ يستميل أهل المدينة نحوه لم يكن في مقدور الأمويين التصدي له سلما أو حربا إلا بواسطة ولاة المدينة وقد وضح ذلك من خلال تبرير الوالي عمرو بن سعيد الآنف الذكر للخليفة يزيد. ولكن أمام فشله وفشل الواليين اللذين جاءا من بعده في مواجهة ثورة ابن الزبير وتسارع الأحداث وتمكن ابن الزبير وتكاثر أتباعه من سكان المدينة وقوة مركزه بهم يمكننا أن نفهم سر سرعة يزيد في عزل ولاته على المدينة بغية العثور على وال مناسب بعدما فشل الآخرون في مواجهة الخطر الذي أخذ يهدد الولاء للأمويين في الحجاز ويعلن خلع طاعتهم.

وكذلك يمكننا أن نرصد بداية مرحلة جديدة في العلاقة بين الأمويين ومواجهة مشكلات الحجاز إذ أنهم حتى هذا الوقت كانوا يحاولون مواجهة تلك المشكلات بواسطة ولاتهم بالمدينة الذين تميزوا بالحنكة وحسن الإدارة وبالجمع بين إمارة المدينتين المهمتين هناك في أكثر الأحيان، فلما كانت سنة ٦٣ هـ وخلع أهل المدينة وخروج الحسين وثورة ابن الزبير غيروا سياستهم، وأخذوا يبعثون قوادا لهم على رأس جيوش تتوجه من مركز الدولة في الشام إلى الحجاز لتحقيق سياستهم فيه. وفي سبيل هذا يندرج اهتمام يزيد بأحوال أهل الحجاز الاقتصادية فقد أدرك بثاقب بصره أهمية هذا العامل في حياة الناس هناك بحكم طبيعة بيئة الحجاز الفقيرة، وأن من أسباب ضعف الولاء له في المدينة وتذمر أهلها هو نقص عطائهم وانقطاعه أحيانا وكساد أحوالهم، ولهذا كله وعد بتحسين أحوالهم الاقتصادية وتقدير عطائين لهم في السنة وصرف ما حبس من عطائهم منذ زمن معاوية شريطة إقرارهم له بالطاعة وعدم الخروج عليه(٢٤). ومن نتائج هذا الإجراء محاولة شق صف الكارهين له واستمالة بعضهم، وتخفيف العبء العسكري عن الدولة إذ أن

تكاليف العطاء وما في حكمه أقل وأهون عليها من تكاليف الجيش وآثار ذهابه إلى هناك.

وقد كان من مهام الوالي في رأي يزيد إخباره بأمر المعارضين له مثل كتابة واليه عمرو بن سعيد عن معارضة الحسين بن علي له في المدينة. وكذلك قراءة أوامر الخليفة على أهل ولايته مثلما أمر واليه عثمان بن محمد أن يقرأ رسالته على أهل المدينة التي يحثهم فيها على لزوم الطاعة ويحذرهم فيها من مغبة الفتنة وعنف الرد عليهم إن خالفوه، فما كان من أهل المدينة إلا الرد بالسب والشتم للوالي والخلع للخليفة(٢٥). وهنا تبدأ مظاهر المرحلة الجديدة من سياسة الأمويين تجاه مكة والمدينة منذ أواخر عهد يزيد حتى نهاية النصف الأول من خلافة عبد الملك بن مروان واتسمت هذه المرحلة بتوليه أمر المدينتين رجالا اتصفوا بالقيادة قبل الولاية بعد أن ظهر للبيت الأموي عدم ولائها له، واستفحل تذمر أهل المدينة وخروج ابن الزبير في مكة. ولما كان لابن الزبير أتباع وولاء بالمدينة أيضا، كما أن الطريق في القضاء عليه يمر عبرها أيضا بحكم شمالية موقعها بالنسبة لمكة فإن ذلك تطلب من يزيد مناجزة أهلها أولا ـ خاصة عندما أمر أهلها عليهم في هذا الوقت رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين(٢٦) ـ ومن ثم حدثت موقعة الحرة بين أهلها وجيشه ووقعت أخطاء من الجانبين خلالها ليس هذا مجال تفصيلها(٢٧) إلا أن النتيجة الحاسمة التي ترتبت عليها هي تمكين الولاء في المدينة للدولة الأموية بعد هزيمة أهلها ومن ثم خروج الجيش الأموي منها نحو مكة لمواجهة ابن الزبير ولكن موت قائده في الطريق ثم وفاة يزيد بعده بقليل أجّل حسم ثورة ابن الزبير.

وأحداث معركة الحرة وموقف أهل المدينة من ثورة ابن الزبير يفسر أن رسوخ مبدأ الشورى والكفاءة في الحكم عندهم، والتصميم على محاربة أي مسلك سياسي يخالفه، ويؤيد هذا موقفهم من عدم مبايعة يزيد وريث أبيه

بالخلافة، ولجوؤهم للقتال لا يعدو أن يكون ـ في نظرهم ـ من باب تغيير المنكر بأفضل أدواته وهي اليد والسلاح، أما بعد هذه المعركة فقد انتقلوا إلى المرحلة الثانية في الإنكار على الدولة وسياسة ولاتها فيهم وذلك باللجوء إلى سلاح اللسان والحديث عما ينبغي أن يكون.

ويرى الباحث محمد شراب أنهم كانوا يراوحون بين هاتين الأداتين وكان للأخيرة وقع أشد وأقوى ـ لا سيما في طوله واستمراره ـ في نظر الخلفاء الأمويين لما لأهلها من منزلة في نفوس المسلمين ورأي معتبر في بلدانهم في أحداث العصر (٢٨). فلما تولى الخليفة عبد الملك بن مروان عين الحجاج بن يوسف واليا جديداً على مكة ثم ضم إليه المدينة سنة ٧٤ هـ(٢٩) بعد أن مكث على ولايتها طارق بن عمر الذي جاء إليها في السنة السابقة في جيش للقضاء على أتباع ابن الزبير فيها.

وقد أدرك الخليفة عبد الملك ـ وهو الذي قضى مرحلة من حياته في المدينة ـ بوادر نبوغ الحجاج في الولاية خاصة، ولما عرف عنه من طموح وحزم وقد وضح ذلك جليا منذ أن استهان بولاية قرية تبالة حتى ذهبت مثلا فقيل أهون على الحجاج من تبالة. وكذلك فهو من قبيلة ثقيف الحجازية فهو خبير بمسالك المنطقة وظروفها ومواجهة مشكلاتها، ومن ثم أدرك عبد الملك مناسبة تعيينه في هذا الوقت واليا على المدينة ومكة لعله يقطع دابر فترة تضعضعت فيها السلطة الأموية في الحجاز عموما وكان من أهم مظاهرها سيطرة ابن الزبير على المدينة ومكة واتخاذه الأخيرة عاصمة له وتلقبه فيها بلقب أمير المؤمنين وإعادة بناء الكعبة وضربه عملة باسمه. (٣١) وهي أعمال فيها كل مظاهر الاستقلال وخلع طاعة الدولة الأموية، وهو ما وعاه الخليفة عبد الملك جيدا واضطر في سبيله أن يوقع معاهدة مع البيزنطيين يدفع الأموال لهم بموجبها كل أسبوع(٣٢) في سبيل تحييدهم ومواجهة خطر ابن الزبير في مكة والمدينة ومن ثم رماه بأقسى قواده وهو

الحجاج بن يوسف الثقفي الوالي والقائد الذي ادخره الأمويون لأوقات الشدائد وإخضاع تلك الأقاليم التي إما أن تكون مهمة كالحجاز أو تكثر فيها الفتن والثورات كالعراق.

وبعد أن قضى الحجاج على ثورة ابن الزبير ووطد الأمر للأمويين في الحجاز نقله عبد الملك ليكون واليا على العراق، وحرص الخليفة على تدعيم سلطته في المدينة ومكة وضمان ولائها للأمويين ــ بعد المرحلة السابقة ــ فأعاد ولايتها لأفراد البيت الأموي فعين على المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص سنة ٧٥ هـ(٣٣). وفي السنة التالية عزله بسبب خروجه وتركه المدينة ومقابلته الخليفة بدون إذنه، وعين نائبه إبان بن عثمان والياً عليها(٣٤)، واستمرت ولايته حتى سنة ٨٢ هـ وتقلد أيضا إمارة الحج بالناس طيلة ولايته(٣٥). وعلى الرغم من أنه كان يعد من فقهاء المدينة العشرة(٣٦)، إلا أنه فيما يظهر لم يوفق في إدارتها فعزله عبد الملك وعين بعده هشام بن إسماعيل بن هشام المخزومي صهر الخليفة(٣٧)، وكان شديداً على أهل المدينة حتى ضرب فقيهها سعيد بن المسيب لعدم مبايعته ابني الخليفة بولاية العهد كما أساء للعلويين فيها(٣٨). وهو ما يظهر تزلف هذا الوالي للخليفة على حساب أهل ولايته ويشبه تصرفه هذا تصرف أحد ولاة ابن الزبير من قبل مع ابن المسيب عندما ضربه؛ لأنه امتنع عن بيعة ابن الزبير(٣٩) واستمر هذا الوالي حتى عزله الوليد بن عبد الملك غداة توليه الخلافة سنة ٨٦ هـ.

والملاحظ أن المدينة عرفت خلال الصدر الأول من خلافة عبد الملك ستة من الولاة من قبل عبد الله بن الزبير أشهرهم أخوه مصعب وجابر بن الأسود بن عوف، كما عرفت في الصدر الثاني من خلافته أشد الولاة وأقساهم على أهلها من قبله على الرغم من أن نشأته الأولى وتعليمه كان فيها وهو ما كان متوقعا أن يعكس لديه رأفة وعطفا نحوها. ولكن تفسير ذلك يعود إلى أن ولاة عبد الملك على المدينة جاءوا بعد قرابة عشر سنوات من خلافها وخلع الطاعة لبيته والتبعية لابن الزبير.

وجاء عزل الوليد فور توليه الخلافة لهشام بن إسماعيل المخزومي لكي يستبدل به على المدينة من هو أرق بأهلها منه فعين عليها عمر بن عبد العزيز وأوصاه بالوالي السابق خيراً مراعاة لرحمه وعلو منزلته في قريش وكبر سنه، على الرغم من أن بعض المصادر تشير إلى أن الوليد أمر عمر بإيقافه للناس ليقتصوا منه، وعلى رأسهم ابن المسيب فعفى عنه للاعتبارات السابقة(٤٠). وتولية عمر المدينة في هذا العهد تمثل مظاهر الهدوء والاستقرار الذي عاشته الدولة في هذا الوقت، فقد كان عهد الوليد بن عبد الملك عهد استقرار وفتوح في الدولة، وقد تم تولية عمر بن عبد العزيز على المدينة في سنة ٨٧ هـ(٤١) وهو ابن والي مصر عبد العزيز بن مروان، ونشأ في بداية حياته هناك، ثم عاد إلى المدينة وقضى فيها سوادا من حياته حتى انتقل إلى دمشق وأصبح خليفة للدولة. وقد تباطأ في الذهاب إلى عمله الجديد حتى ألح عليه الخليفة بالإسراع إلى ولايته فاشترط عمر عليه أمرين هما، عدم أخذه بجريرة من سبقه من الولاة عليها من ظلم ونحوه، ثم أن يجري في سياسته في الأموال بالحق، فوعده الخليفة بقبول ذلك حتى ولو لم يرفع له درهما واحدا(٤٢). ونلمح سياسة عمر في ولايته من خلال أول خطبة ألقاها في جمع من أهل المدينة دعاهم اليه في دار مقامه هناك فقال:

«إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم فإن رأيتم أحداً يتعدى أو بلغكم عن عامل ظلامة فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلا بلّغني»(٤٣).

فكانت سياسته قائمة على الشورى في الرأي والمناصحة في المواقف ودفع الظلم والإخبار عمن يقوم به. واتخذ عشرة من أهل المدينة يعينونه على ذلك ويستشيرهم في الأمر على رأسهم عروة بن الزبير وخارجة بن زيد وعبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وسليمان بن يسار وأبو بكر بن أبي خيثمة(٤٤)، وكان جميعهم ذوي منزلة وفضل في أهل المدينة.

وأصبحت المدينة تنعم بالأمان طيلة ولايته حتى غدت ملجأ لكثير من الناس من جور ولاتهم ولاسيما أهل العراق حيث قدم إليها أناس منها فراراً من جور الحجاج وشدته، ولم يكتف بإلجائهم في المدينة بل كتب إلى الخليفة الوليد بشأن ظلم الحجاج وقسوته على أهل العراق مما دعا الحجاج إلى مكاتبة الوليد بشأنه ويشكو منه إيواء أولئك الهاربين من العراق ويصف ذلك بأنه وهن ويغري الخليفة بعزله(٤٥) مشيراً بذلك إلى شدة وعنف سلفه هذا في المدينة. فقد كان الحجاج في هذا الوقت في أوج القوة ومكان الثقة في الدولة، ويعتبر أشهر ولاتها وهو حديث عهد بتحقيق فتوحات عظيمة للدولة على يد ولاته في السند وبلاد ما وراء النهر. ومن ثم فقد كانت له دالة عليها في عهد الوليد بن عبد الملك(٤٦) وقد تم له ذلك بالفعل. ففي سنة ٩٣ هـ عزل الخليفة عمر عن المدينة وولاها عثمان بن حيان المري ويظهر أن الحجاج أشار على الخليفة به حيث اشتهر بشدته وعنفه(٤٧) وقد اشتد بالفعل في إخراج الفارين من أهل العراق من المدينة حتى ولو جاءوا إليها تجارا وتهدد من أوى أحداً منهم بهدم داره، ونال أهل المدينة قسطا من شدته بعد عهد الرخاء والأمن الذي تفيأوا ظلاله خلال ولاية عمر فقد خطبهم لما قدم فقال:

«أيها الناس إنّا والله مارأينا شعاراً قط مثل الأمن، ولا رأينا حلسا قط شراً من الخوف، فالزموا الطاعة، فإن عندي يا أهل المدينة خبرة من الخلاف والله ما أنتم أصحاب قتال، فكونوا من أحلاس بيوتكم، وعضوا على النواجذ فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم، إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم فدعوا عيب الولاة...»(٤٨).

والولاة المريّون لم يكونوا محمودي السيرة في علاقتهم بالمدينة ومنهم مسلم ابن عقبة قائد معركة الحرة وعثمان هذا وقد جاء من عقبه والٍ للمدينة في بداية العصر العباسي هو رياح بن عثمان بن رياح المري، أعاد ذكرى سلفه

في القسوة والبطش بأهل المدينة ووصف الأخير نفسه بأنه الأفعى بن الأفعى(٤٩) مشيرا بذلك إلى شدة سلفه وعنفه بالمدينة.

وبعد ثلاث سنوات عزل الخليفة سليمان بن عبد الملك عثمان وولى عليها أبا بكر بن محمد بن حزم الذي كان أحد قضاة عمر فيها عندما كان والياً عليها وهو الذي أشار به على الخليفة(٥٠) وكان أحد الولاة الأكفاء الذين تولوا إمارة المدينة وعندما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز أبقاه في منصبه استمرارا لاهتمامه بالمدينة وتفقد أحوالها وتعهدها بالصالحين من الولاة، وأثر عن أحد سكانها آنذاك قوله:

«ما قدم علينا بريد لعمر ـ أي عندما كان خليفة ـ إلا بإحياء سنة أو قسم مال أو أمر فيه خير»(٥١).

ولا يقدح في إدارة أبي بكر بن حزم ما وجهه له الشاعر الأحوص من نقد في شعره؛ لأن مثله ليس أهلا للنقد لا سيما أنه جاء بعد أن رفع الوالي أمر فساده وفسقه للخليفة(٥٢).

وهكذا يختار الأكفاءُ الأكفاءَ مساعدين وأعوانا لهم في إدارة شؤون الدولة فيريحون الناس ويستريحون ويحمد الجميع السرى وحسن العاقبة.

وظل أبو بكر بن محمد بن حزم والياً على المدينة حتى عزله يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ هـ وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك(٥٣). ولم يعزله الخليفة عن عجز أو ظلم وإنما يأتي هذا الإجراء في إطار سياسة الخليفة الجديد تغيير عمال الخليفة السابق ومغايرته في أعماله. ويذكر الجهشياري عنه أنه أمر بنقض ما أبرم عمر وعزل ولاته ولم يخف شناعة عاجلة(٥٤).

وقد اشتد الوالي الجديد في معاملة أهل المدينة ولقوا منه عنتا حتى أنه ضرب الوالي السابق، وتعرض لفاطمة بنت الحسين بن علي بغية إكراهها على الزواج منه فشكت أمره للخليفة فغضب من تصرفه وتوعده بالضرب حتى يسمع صوت فيه وهو بالشام وأمر بعزله في سنة ١٠٤ هـ، فساءت حاله

وهجاه الشعراء وأصبح يتكفف الناس . وجاء بعده عبد الواحد بن بشير النضري سنة ١٠٤ هـ وقد أثنى عليه المؤرخون وذكروا عنه أنه كان يذهب في ولايته مذاهب الخير، وكان يستشير بعض أهل المدينة في أمور ولايتها وأحبه أهلها وأثنوا عليه بالخير(٥٦) الا أنه لم يستمر طويلا فقد عزله هشام سنة ١٠٦ هـ وولى خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي وعلى الرغم من أن ولايته كانت طويلة مقارنة بعهد أسلافه حيث استغرق ثمان سنوات إلا أن أهل المدينة لم يرضوا عنه وشكاه الناس إلى الخليفة مرارا وكنى أحدهم عن سعة أملاكه أنها امتدت من بلاد الشام حيث منابت الزيتون حتى منابت القرظ باليمن، وهجاه بعض الشعراء . ويندرج في هذا بناؤه له دارا كبيرة في سوق المدينة الذي سبق أن أوقفه الرسول عليه الصلاة والسلام على المسلمين للبيع والشراء فيه . وفي وقت من الأوقات نسبت إلى الخليفة نفسه . وعلى أية حال فقد قام أهل المدينة بهدمها بعد وفاة الخليفة كردة فعل توضح غضبهم على تصرف الوالي وإقرار الخليفة له . وتحقيقا لحرمة البناء في هذا المكان العام أصلا(٥٧) . وعزله الخليفة وولى خالد بن عبد الملك بن الحارث سنة ١١٤ هـ واستمرت ولايته أربع سنين وكانت سنوات قحط وجوع بالمدينة . وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد الشام وعرفت هذه الفترة بسنيات خالد(٥٨) فجمع هشام ولايتها إلى خاله محمد بن هشام المخزومي واليه على مكة والطائف وبقي كذلك حتى سنة ١٢٥ هـ(٥٩).

ومن خلال استقراء سياسة ولاة المدينة حتى أواخر عهد هشام بن عبد الملك يمكن ملاحظة ثلاثة أمور:

الأول: أن الأمويين اتبعوا سياسة اللين والشدة بالتناوب إزاء أهل المدينة وتمثل ذلك واضحا عند دراسة شخصية كل والٍ لها خلال هذه الفترة ويتضح ذلك جليا عند المقارنة بين إبان بن عثمان وهشام المخزومي، وعمر بن عبد العزيز وعثمان المري، وأبي بكر بن حزم وعبد الرحمن بن الضحاك.

ومرد ذلك أن الأمويين كانوا يخشون من إطالة فترات اللين والخلود إلى الأمن في المدينة، أو فترات الشدة مخافة الغفلة عنها وظهور الطامحين فيها في الأولى والثورة وخلع الطاعة في الثانية حتى أن هذه السياسة كان يتبعها الخليفة الواحد أحياناً.

الثاني: أن الخلفاء الأمويين لم يسمحوا ببقاء ولاتهم فترة طويلة في المدينة فإذا ما رغبوا في وال عزلوه أولا ثم جاءوا بآخر ثم يعيدونه مرة أخرى. ولعل هذا يعود إلى خشيتهم من تفرد الولاة في المدينة لأهمية مركزها ولأن أكثر أولئك الولاة من البيت الأموي نفسه وقد يقوى البقاء طويلا في إمارة المدينة الطموح لديهم في المركز خاصة إذا دعمه من يقيم فيها من أفراد البيت الأموي،(٦٠) وفي وقت من الأوقات بلغ عدد هؤلاء الألف(٦١).

الثالث: أن الأمويين استعملوا على المدينة في أوقات الرخاء والأمن أو محاولة السعي إلى توطيدهما ولاة من البيت الأموي، أما في أوقات الشدة وضعف الولاء فيه عينوا عليها ولاة من خارج البيت الأموي يجمعهم بالسابقين الولاء له؛ لأنه كثيرا ما يرافق الأوقات الأولى الخير والثناء وإعلاء مركز الدولة في نفوس الناس، والبيت الأموي يحرص أن تنسب له مثل هذه الأعمال ويذكر بها، بينما ترتبط أوقات الشدة والخلاف بكثير من القسوة والعنف والتجاوز ونسبتها لأدوات الدولة وولاتها القاصين أهون على البيت الحاكم وفي الوقت نفسه تحقق له الولاء المطلوب.

أما الفترة المتبقية من عهد الدولة الأموية وهي حوالي سبع سنوات فقد تعاقب على ولاية المدينة خلالها خمسة ولاة، وقد غلب عليها مظهران أحدهما ضعف نفوذ الدولة وانشغالها بمشكلات مركزها في دمشق حيث ظهر الصراع على السلطة واضحا في هذا الوقت بين أفراد البيت الأموي نفسه.

الثاني هو تعرض المدينة لخطر الخوارج حيث هاجم أبو حمزة الخارجي حج سنة ١٢٩ هـ وفي الطريق إلى المدينة وقعت معركة قديد(٦٢) بينه وبين أهل المدينة حيث هزم هؤلاء وواصل أبو حمزة الخارجي زحفه حتى دخلوا المدينة على الرغم من جهود واليها في التصدي له(٦٣).

أما الإجراء الفوري والذي تطلبه الموقف وعمد له والي المدينة عبد الواحد بن سليمان في وجه حركة أبي حمزة الخارجي فهو بذل الإنفاق سخيا وزيادة عطاء الجند وتجهيزهم للخروج(٦٤)، ولكن الإجراء الأصوب هو القيام بهذه الأعمال وغيرها من حسن الإدارة ونحوه حتى تصبح سياسة ثابتة في هذه الولاية المهمة أي منذ وقت طويل حتى لا تصبح مرهونة بالحدث ورد الفعل عليه وهو إتجاه ثبت عدم جدواه من قبل الحكام والقواد والولاة عند وقوع الحوادث الجسيمة التي تؤثر في مصائر الدولة أو الأمة. وعندما خطب أبو حمزة في أهل المدينة بعد دخولها ذكر جملة من أخطاء ولاتها وذمهم وفساد إدارتهم وأقره أهل المدينة عليها(٦٥)، ومع أن المقام جاء في سرد عدد من الأخطاء التي وقع فيها الولاة لاستمالة أهل المدينة إلى جانبه وتبرير هزيمته لجيش المدينة في وقعة قديد السابقة ودخوله المدينة إلا أن إقرارهم لمقولته في ولاتهم بعيدا عن الإكراه يجعلنا نطمئن بوصف أولئك الولاة وبالذات المتأخرين منهم بالسوء وعدم حسن الإدارة ولعل هذا المسلك منهم هو الذي أثر وانعكس على موقف أهل المدينة في معركة قديد والهزيمة التي حاقت بهم فيها. كما في ظل تلك الإدارة يمكن تعليل هذه النتيجة فضلا عن أن مظاهر الاضطراب والفتن في هذا الوقت ليست في ولاية المدينة وحدها وإنما في أكثر أقاليم الدولة وهي أوضاع ينعدم معها الترف في المدينة الذي يعزو له الطبري سبب هزيمة أهلها أمام أبي حمزة الخارجي(٦٦).

وختاما فقد وقع الأمويون في خطأ في مفهوم الحكم الصحيح عندما اعتمدوا سياسة البر بالمناصب للأقرباء والأصهار والصنائع، فكان أغلب ولاتهم على المدينة، وبعض البلدان الأخرى أحد هؤلاء. وكان في هذا

تغييب لمبدأ الولاية على أساس الكفاءة، وقوائم ولاة الدولة الأموية على البلدان ومنها المدينة تشهد بهذا حتى غدت ظاهرة لا مثيل لها عند من سبقهم من الخلفاء(٦٧). وقد انعكس هذا المفهوم على ولاة الدولة وتأثروا به في أقاليمهم فاستعانوا بأقاربهم في الإمارة والإدارة والقيادة مما يخرج عن مجال هذا البحث(٦٨).

ومثله عندما واجه خلفاؤهم مشكلات المدينة السياسية بمقياس ومفاهيم مشكلات الأقاليم الأخرى دون أن يراعوا مركز المدينة الديني والسياسي ومكانة أهلها ورأيهم ــ آنذاك ـ وأثره في الناس وكان كل موقف سياسي منهم إزاءها سيكون أهون من قتل أهلها ورمي الكعبة بالمنجنيق للقضاء على ابن الزبير في مكة وهو ما أثم الدولة الأموية في نظر المعاصرين وأساء إلى تاريخها.

وقريب من هذا عندما اعتمد بعض ولاتهم في المدينة على موظفين وشرط من خارجها مثلما فعل مروان بن الحكم عندما جعل شرطه من أهل أيله(٦٩). بحجة ممالأة أهلها لذويهم ولكن المؤدي المترتب على مثل هذه السياسة هو فقدان الثقة بين الوالي وأهل ولايته.

ولا شك أن سياسة هؤلاء الولاة في العموم انعكست سلبا وإيجابا على جوانب الحياة الأخرى في المدينة وأثرت فيها إذ لا ينكر توجيه السياسة منذ القديم وأثرها في انتظام أحوال الدولة وأقاليمها أو اضطرابها في المجالات الأخرى.

وبالتالي فإن مراعاة الكفاءة في ولاية الأقاليم والبلدان دون أي إعتبار آخر، وكذلك مراعاة الذاتية والفوارق المحلية بينها، ومنح الثقة لأهلها في تولي المناصب المهمة فيها أو في وظائف الدولة الأخرى أمور تبدو في غاية الأهمية لنجاح الإدارة فيها وثبات عوامل التبعية ودواعي الاستقرار وانتظام العلاقة وانسجامها بينها وبين مركز الدولة.

قائمة ولاة المدينة في العصر الأموي

مروان بن الحكم		٤١ ـ ٤٩ هـ
سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص		ربيع الأول ٤٩ ـ ٥٦ هـ
مروان بن الحكم (للمرة الثانية)		٥٦ ـ ٥٧ هـ
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان		ذو القعدة ٥٧ ـ ٦٠ هـ
عمرو بن سعيد بن العاص، الأشدق، ومعه مكة.		٦٠ ـ ٦١ هـ
الوليد بن عتبة، (للمرة الثانية)		٦١ هـ
عثمان بن محمد بن أبي سفيان، من قبل يزيد		٦٢ ـ ٦٤ هـ
عبيد الله بن الزبير		٦٤ هـ
جابر بن الأسود بن عوف		٦٥ هـ
العباس بن سهل	من قبيل :	٦٥ هـ
مصعب بن الزبير	عبد الله بن الزبير	٦٥ هـ
جابر بن الأسود، (للمرة الثانية)		٦٨ ـ ٧٢ هـ
طلحة بن عبيد الله بن عوف		٧٢ هـ
طارق بن عمرو، مولى عثمان، من قبل عبد الملك		٧٢ ـ ٧٤ هـ
الحجاج بن يوسف الثقفي		٧٤ ـ ٧٥ هـ
إبان بن عثمان		٧٥ ـ ٨٢ هـ
هشام بن إسماعيل المخزومي		٨٢ ـ ٨٦ هـ
عمر بن عبد العزيز		٨٦ ـ ٩٣ هـ

عثمان بن حيان	٩٣ ـ ٩٦ هـ
أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، من قبل سليمان	٩٦ ـ ١٠١ هـ
عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ضم اليها مكة سنة ١٠٣ هـ	١٠١ ـ ١٠٤ هـ
عبد الواحد بن عبد الله النضري	١٠٤ ـ ١٠٦ هـ
إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي	١٠٦ ـ ١١٤ هـ
خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم (المدينة وحدها)	١١٤ ـ ١١٧ هـ
محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي (المدينة ومكة)	١١٧ ـ ١٢٥ هـ
يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي	١٢٥ هـ
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	١٢٦ هـ
عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك	١٢٧ ـ ١٣٠ هـ
محمد بن عبد الملك بن مروان	١٣٠ هـ

(انظر: شاكر مصطفى: الدليل في التاريخ العربي جـ١ ص ١٢٨ ـ ١٣٠)

الهوامش

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ ٥ ص ٣٢٣ .

(٢) محمد بطاينة: دراسات وبحوث من التاريخ الإسلامي ص ١٣٤ .

(٣) ابن وكيع: أخبار القضاة جـ ١ ص ١٢٣ .

(٤) الطبري: جـ ٥ ص ٣٩٩ .

(٥) صالح العلي: إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث الجامعة الأمريكية، العدد ١١ عام ١٩٦٨ م ص ٢٦ .

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٣٨ .

(٧) المصدر السابق جـ ٣ ص ٤٨٥ .

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٥٨ .

(٩) البلاذري: أنساب الأشراف. القسم الرابع ص ١٦٠ .

(١٠) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٤٠ ، الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ٥٣٤ .

(١١) ابن كثير: جـ ٨ ص ١٤٨ . استشار الحسين بن علي ابن الزبير في أن أهل الكوفة راسلوه في المجيء إليهم، فقال أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها، فقال الحسين بعد خروجه من عنده: قد علم ابن الزبير أنه ليست له معي عن الأمر شيء وأن الناس لم يعدلوا بي غيري فود أني خرجت لتخلو له: ابن كثير جـ ٨ ص ١٦٠ .

(١٢) المصدر السابق جـ ٨ ص ١٤٨ ، ١٦٠ .

(١٣) البلاذري: أنساب الأشراف. القسم الرابع ص ٦١٥ ـ ٦١٦ .

(١٤) الطبري جـ ٥ ص ٣٢٣ .

(١٥) المصدر السابق جـ ٦ ص ١٩٦ .

(١٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ١٨٥.

(١٧) الطبري جـ ٥ ص ٣٩٩.

(١٨) ابن كثير جـ ٨ ص ٢١٥.

(١٩) الطبري جـ ٥ ص ٤٧٩.

(٢٠) البلاذري: أنساب الأشراف. القسم الرابع ص ٣١٨؛ الطبري جـ ٥ ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٢١) الطبري جـ ٥ ص ٤٨٠، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ ص ٢١٩.

(٢٢) البلاذري: أنساب الأشراف القسم الثالث ص ٣٢٩.

(٢٣) البلاذري: أنساب الأشراف. القسم الرابع ص ٣٢١، ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٤ ص ٣٨٨.

(٢٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة جـ ٢ ص ٨.

(٢٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٤ ص ٣٨٨، ابن كثير جـ ٨ ص ٢١٨.

ونص رسالته إليهم هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد. فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال، وإني قد لبستكم فأخلفتكم ورفعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني والله إن وضعتكم تحت قدمي لأوطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأترككم بها أحاديث تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود».

ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٤ ص ٣٨٨.

(٢٦) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ص ٢٣٧ - ٢٣٨، الطبري جـ ٥ ص ٤٨٠ - ٤٨٧ والرجلان هما عبد الله بن حنظلة، وعبد الله بن مطيع.

(٢٧) تعتبر معركـة الحـرة ـ أي حرة واقـم (الحرة الشرقية) بالمدينـة ـ التي حدثت سنة ٦٣ هـ أحد ثلاثة أحداث خطيرة واجهت الـدولة الأموية هي موقعة الحرة وثورة الحسين وثورة عبد الله بن الزبير، وقد تعددت الروايات حول أسباب هذه المعركة وأحداثها وتعددت آراء المؤرخين حولها.

انظر: خليفـة بن خياط، تاريخ خليفة بن خيـاط ص ٢٣٦ ـ ٢٤٥، الطبري جـ٥ ص ٤٨١ ـ ٤٩٥، ابن كثير جـ٨ ص ٢١٧ ـ ٢٢٤.

(٢٨) محمد شراب: المدينة في العصر الأموي، ص ١٧٦.

(٢٩) ابن سعد جـ٥ ص ١٠٩.

(٣٠) تبـالة قـرية تقع في تهامـة عسير وهي أول عمل وليه الحجـاج، فلما قرب منهـا سأل دليلـه عنها فأجـابه بأنها فقط وراء هـذه الأكمة، فقـال لا أراني أميرا على مـوضع تستره عني هذه الأكمـة، أهون بها من ولايـة. وكر راجعـا لم يدخلها فذهب موقفـه منها مثلا فقيل أهون على الحجاج من تبالـة. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٢ ص ٩.

(٣١) المقريزي: النقود الإسلامية ص ٩.

(٣٢) الطبري جـ٦ ص ١٥٠ ؛ الباز العريني: الدولة البيزنطية ص ١٥٧.

وقد وقع الخليفة عبد الملك بن مروان المعـاهدة المذكورة مع الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني في فترة حكمه الأولى.

(٣٣) الطبري جـ٦ ص ٢٠٢.

(٣٤) المصدر السابق جـ٦ ص ٢٨٦.

(٣٥) المصدر السابق جـ٦ ص ٣١٨، ص ٣٥٥.

(٣٦) ابن كثير جـ٩ ص ٢٣٤.

(٣٧) البلاذري : أنساب الأشراف . القسم الرابع ص ٦١٨ .

(٣٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٧٧ .

(٣٩) ابن كثير جـ ٨ ص ٢٩٣ .

(٤٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٣٧ .

(٤١) الطبري جـ ٦ ص ٤٢٧ .

(٤٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٤٣) الطبري جـ ٦ ص ٤٢٧ .

(٤٤) نفسه .

(٤٥) الطبري جـ ٦ ص ٤٨١ ـ ٤٨٢ .

(٤٦) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٢٤٣ .

(٤٧) الطبري جـ ٦ ص ٤٨٥ .

(٤٨) الطبري جـ ٦ ص ٤٨٦ .

(٤٩) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٤٢١ ، المصدر السابق جـ ٧ ص ٥١٧ .

(٥٠) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٢٣ .

(٥١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٥ .

(٥٢) أبو فرج الأصفهاني : كتاب الأغاني جـ ٤ ص ٢٣٩ .

(٥٣) مصعب الزبيري : كتاب نسب قريش ص ٤٤٧ .

(٥٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٥٦ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٦٨ .

(٥٥) ابن سعد جـ ٨ ص ٤٧٤ .

(٥٦) الطبري جـ ٧ ص ٢٠ .

(٥٧) ابن شبة : كتاب تاريخ المدينة جـ ١ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

(٥٨) مصعب الزبيري : كتاب نسب قريش ص ١٧٠ .

(٥٩) ابن كثير جـ ١٠ ص ٤ .

(٦٠) محمد شراب : المدينة في العصر الأموي ص ٢٢٠ .

(٦١) البلاذري : أنساب الأشراف . القسم الرابع ص ٣٢١ .

(٦٢) قديد قرية قديمة تقع على الطريق بين مكة والمدينة تبعد عن الأولى بحوالي مائة كيلو وتنسب لها المعركة المشهورة بين أهل المدينة وبين الخوارج في أوائل سنة ١٣٠ هـ ، وهذه القرية مازالت معروفة باسمها الى اليوم وعامرة ببعض المزروعات ، وتقع على الطريق المعبد بين مكة والمدينة .
انظر : الطبري جـ ٧ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٦٣) الطبري جـ ٧ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

(٦٤) المصدر السابق جـ ٧ ص ٣٧٦ .

(٦٥) المصدر السابق جـ ٧ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

(٦٦) الطبري جـ ٧ ص ١٨٠ .

(٦٧) محمد بطاينة : دراسات وبحوث من جوانب التاريخ الاسلامي ، ص ١٤٠ .

(٦٨) والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن الحجاج استعان بعدد من رجال قبيلته ثقيف ، وكذلك استعان يزيد بن المهلب في خلافة سليمان بن عبد الملك بعدد من أهل بيته ، وفعل مثله خالد بن عبد الله القسري ، وكذلك يوسف بن عمر الثقفي ، والأمثلة كثيرة على استعانة الولاة في هذا العهد بأقاربهم .

(٦٩) أبو الفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني جـ ٥ ص ٧٤ .

المصادر والمراجع

ابن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي بن محمد :
أسد الغابة في معرفة الصحابة . دار الشعب . القاهرة ١٩٧٠ م .

الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد :
كتاب الأغاني . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٣٢ م .

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر :
أنساب الأشراف . القسم الثالث . تحقيق محمد المحمودي . بيروت ١٩٧٤ م القسم الرابع . تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٧٩ م .

الجهشياري : محمد بن عبدوس :
كتاب الوزراء والكتاب . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . نشر البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٨ م .

ابن الجوزي : جمال الدين الحافظ عبد الرحمن :
سيرة عمر بن عبد العزيز. شرح وتعليق محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٣١ هـ .

ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد :
وفيات الأعيان . تحقيق احسان عباس . دار الثقافة بيروت ١٩٦٨ م .

خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق د. أكرم ضياء العمري . ط ٢ مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٧٧ م .

الذهبي : سير أعلام النبلاء . تحقيق شعيب الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١ م .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع :
الطبقات الكبرى. دار صادر. بيروت ١٩٦٨ م.

ابن شبة : أبو زيد عمر بن شبة النميري :
كتاب تاريخ المدينة المنورة. تحقيق فهيم شلتوت. نشر السيد حبيب محمود. جدة ١٤٠٢ هـ.

صالح العلي : إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى. مجلة الأبحاث. الجامعة الأمريكية، المجلد ٢١، بيروت ١٩٦٨ م.

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير :
تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤ دار المعارف. القاهرة ١٩٧٩ م.

ابن عبد ربه : أحمد بن محمد :
العقد الفريد. تحقيق محمد سعيد العريان. دار الفكر (د. م) ١٩٤٠ م.

فلهاوزن : بوليوس :
تاريخ الدولة العربية. ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة وزميله. لجنة التأليف والنشر بوزارة التربية والتعليم المصرية. القاهرة ١٩٦٨ م.

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم :
الإمامة والسياسة. تحقيق طه الزيني. مؤسسة الحلبي. القاهرة. (د. ت).

ابن كثير : الحافظ الدمشقي :
البداية والنهاية. ط ٢. مكتبة المعارف. بيروت ١٩٧٤ م.

محمد محمد شراب :

المدينة في العصر الأموي . مكتبة دار التراث ، مؤسسة علوم القرآن . المدينة - دمشق ١٩٨٤ م .

محمد ضيف الله بطاينة :

دراسات وبحوث في جوانب من التاريخ الإسلامي . مكتبة المنار . الزرقاء . الأردن ١٩٨٦ م .

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي :

النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود . تحقيق محمد بحر العلوم . ط ٥ ، المكتبة الحيدرية . النجف ١٩٦٧ م .

ابن وكيع : محمد بن خلف :

أخبار القضاة . بيروت (د. م) .

ياقوت الحموي : معجم البلدان . دار صادر . دار بيروت . بيروت ١٩٧٩ م .